الفصل الثالث

أصناف إبليس أو

(الشيطان) وصفاته

وفيه مقدمة الفصل ومبحثان:

المبحث الأول:أصناف(إبليس)الشيطان وفيه تمهيد وستة مطالب:

المطلب الأول:شياطين الأنس والجن.

المطلب الثاني:المارد.

المطلب الثالث: الرجيم.

المطلب الرابع: الوسواس الخناس.

المطلب الخامس: الطاغوت.

المطلب السادس: القرين.

المبحث الثاني: صفات الشياطين(الأبالسة):

وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: الصفات الخَلْقية.

المطلب الثاني:الصفات المعنوية.

مقدمة الفصل

بعد أثبتنا بالأدلة النقيلة التي لا تدع أدنى مجال لأي شك أن إبليس وأعوانه حقيقة لا جدال فيها وليس فيها أدنى مراء،وذلك من خلال أدلة الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من أي اتجاه، ومن بعده من كلام الذي لا ينطق عن الهوى الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، وأثبتنا وجوده أيضا بالأدلة العقلية،وبينا أنه رأس الشياطين وأنه الذي عانى ويعاني منه العالم من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

بقى أن ننطلق إلى أوصاف من أثبتنا وجوده سواء كانت هذه الصفات خَلقية أو خُقية لنكون على دراية من أمرنا ونعرف أوصاف وصفات عدونا لنكون منها على حذر لعل الله ينجينا منه ومن شركه.

المبحث الأول

أصناف(إبليس)الشيطان

وفيه تمهيد وستة مطالب:

تمهيد:

كما خلق الناس أصنافا وألوانا وجعلهم شعوبا وقبائل، نفس الحال بالنسبة لإبليس واتباعة فقد خلقهم الله ألوانا وأصنافا منهم الطاغوت ومنهم المارد ومنهم الشيطان وكلهم أشر من بعضهم البعض، وهناك أيضا شياطين الإنس بجانب شياطين الجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.وهذا نتعرف عليه في المطالب التالية.

المطلب الأول

شياطين الأنس والجن

لقد علمنا مما سبق أن الشيطان لا يقتصر وجوده على جنس معين من المخلوقات، فهو من الجن كما أنه من الإنس أيضاً، وعلى ذلك – وبناءاً على ما ورد من آيات قرآنية – فإن الشيطان يكون من هذين الجنسين المكلفين (الثقلين) ويظهر هذا جلياً في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية 112]

قال قتادة: " من الجن شياطين ومن الإنس شياطين، يوحي بعضهم إلى بعض .

وقال: بلغني أن أبا ذر كان يوماً يصلي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (تعوذ يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن). فقال: أوَ إنَّ من الإنس شياطين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم)([90]).

وقد ذهب البعض إلى أن ما ورد في الآية لا يعني أبداً وجود شياطين من الإنس بل المقصود بقوله تعالى (شياطين الإنس والجن) [91] أي أن مع كل إنسي شيطان من الجن،

90- موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – سنن النسائي –كتاب الاستعاذة – باب: الاستعاذة من شر شياطين الإنس – ص20440 - ح 5509.

91 - سورة الأنعام، الآية 112.

ومع كل جني شيطان من الجن، وقد حُكي هذا القول عن عكرمة[92] والضحاك[93] والسدّي [94] والكلبي[95]، وقد استندوا على حديث رواه ابن عباس في تفسير هذه الآية حيث قال : " مع كل جني شيطان ، ومع كل إنسي شيطان ، فيلقى أحدهما الآخر فيقول : إني قد أضللت صاحبي بكذا فأضلَّ صاحبك بمثله ، ويقول الآخر مثل ذلك ، فهذا وحي بعضهم إلى بعض وهذا الحديث في إسناده ضعف " [96] .

وقد رد الإمام ابن جرير الطبري على هذا التأويل عند تفسير هذه الآية بكلام طويل نذكر طرفاً منه : " جعل عكرمة والسدِّي في تأويلهما هذا الذي ذكرت عنهما عدوَّ الأنبياء الذي ذكرهم الله في قوله:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً ﴾ [الإنعام:12]

أولادَ إبليس دون أولاد آدم ودون الجن ، وجعل الموصوفين بأنهم بعضهم يوحي إلى بعض زخرف القول غروراً ، ولدَ إبليس ، وأن مَن مع ابن آدم من ولد إبليس يوحي إلى مَن مع الجنّ من ولده زخرفَ القول غروراً ، وليس لهذا التأويل وجه مفهوم، لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم ، فكل ولده لكل ولده عدو، ولقد خص الله في هذه الآية الخبر عن الأنبياء أنه جعل لهم من الشياطين أعداء ، فلو كان معنياً بذلك الشياطين الذي ذكرهم السدّي، الذي هم ولد إبليس، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم أنهم جعل لهم الشياطين أعداء وجه. وقد جعل من ذلك لأعدى أعدائه مثل الذي جعل لهم، ولكن ذلك

---

92) هو عكرمة مولى ابن عباس كان عبدا لعبدالله بن عباس فمات رضي الله عنه فورثه ابنه علي بن عبد الله فباعه من خالد بن يزيد بأربعة الآف دينار فأتى عكرمة عليا فقال ما خير لك بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار فاستقاله خالد وأعتقه وكان يكنى أبا عبد الله عالما بالقرآن ومعانيه وتوفي سنة خمس ومائة- طبقات المفسرين – للداودي – ج 1 – ص 12 .

93- الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير مات بخراسان سنة أربع ومائة بالمدينة – طبقات المفسرين – للداودي – ج 1 – ص 10 .

94- ألسدي الكوفي المشهور المفسر كان عالما بالتفسير وكانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائة – طبقات المفسرين – الداودي ج1/ص15

95- هو محمد بن السائب بن بشر وقيل مبشر بن عمرو أبو النضر الكلبي الكوفي صاحب التفسير وكان إماما في التفسير وكان من أصحاب عبد الله بن سبأ وروى عنه سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق وسكن الكلبي دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي توفي سنة ست وأربعين ومائة – طبقات المفسرين – الداودي ج1- ص17.

96)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(ج 7،ص 66)

كالذي قلنا من أنه جعل مردة الإنس والجن لكل نبي عدواً يوحي بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به" [97] .

أما القول الأول – الذي يجعل الشياطين من الجن والإنس على السواء – فقد رجحه أكثر المفسرين، وهو الظاهر والأولى من الآية، حيث ذهب إليه الطبري وابن كثير، وابن عطية في تفاسيرهم وحسبنا بهؤلاء الأعلام الأفذاذ حجة لنا على هذا القول.

أما إذا أردنا أن نتلمّس مقصدنا في إثبات هذا المذهب من آيات الكتاب العزيز، فهذا ظاهر في آخر سورة حيث يُثبت فيها الحق سبحانه أن الوسواس الخناس – الذي هو الشيطان بلا نزاع في معناه – هو من الجِنَّة كما هو من الناس على حد سواء:﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ*الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ*مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾ [الناس:من4إلى6].

ومن هؤلاء الشياطين إنسهم وجنهم تنبثق زمر من الشياطين المتخصصة بصفة من الصفات ومهمة من مهام الإغواء والإضلال ، وها هي تلك الأصناف كما وردت في سياق آيات الحق سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني

المارد

(مَرَدَ): المارد: العاتي، وتمرّد: أقبل وعتى، وقال ابن الأعرابي[98] المرْد: التطاول بالكبر والمعاصي، والمريد: الخبيث المتمرد الشرير،ومنه قوله:{مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ}[التوبة:101] – أي تطاولوا–) [99] .

وقد ورد هذا الوصف للشيطان في مواضع من القرآن وهي قوله تعالى: {وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ}[الصافات: 7].

وقوله تعالى:{وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ}[الحج: 3].

وقوله تعالى:{وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا}[النساء: 117].

---

[97])الطبري، جامع البيان في أحكام القرآن،(ج 8،ص 9)

[98])هو : محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي أبو عبد الله ، علامة باللغة ، من أهل الكوفة ، توفي سنة 231 هـ – الأعلام – للزركلي – ج 6 – ص 131 .

[99])ابن منظور، لسان العرب(ج 3 – 400)مرجع سابق.

والمارد من الرجال: العاتي الشديد، وأصله من مردة الجن والشياطين، ومنه حديث رمضان: ((إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن)) ([100])

والمريد: من شياطين الإنس والجن، وقد تمرد علينا أي عتا، ومرد على الشر وتمرد أي عتا وطغى، والمريد الخبيث الشريد.

فالمارد إذن: هو العاتي الخارج عن الطاعة المنسلخ منها ([101]) .

وسمي الشيطان بذلك لأنه تمرد على أمر ربه وخرج عن طاعته بمخالفته بعدم السجود لآدم عليه السلام، وأصبح هذا الوصف يطلق على جنس الشياطين لأنهم خارجون على طاعة الله وامتثال أمره.

وهذه المعاني بمجملها تصدق على مجموعة من الشياطين اتصفت بالعتو وتجاوز الحد في المعصية وإن كانت تشترك مع بقية الشياطين في أصل الكفر بالله والتمرد على أوامره ، ولكن هنا زيادة في التمرد والعصيان ولذلك فقد استحق رأس الشياطين إبليس عليه لعنة الله هذه الصفة حيث يقول رب العزة : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً ﴾ .[النساء:117]

ولربما يسأل سائل هنا عن فائدة وصف الشيطان بالمريد إن كان معنى المرْد هو مجاوزة الحد في المعصية وهو ما يحمله معنى الشيطان ؟

والجواب يكمن في أن المرْد هو درجة متقدمة على الشيطان، فالشيطان هو البعيد عن الحق، أما المريد فذو البعد الكامل التام عن الحق، يقول الرازي: " أما المريد فهو المبالغ في العصيان الكامل في البعد من الطاعة ويقال له: مارد ومريد ، قال الزجّاج : يقال حائط ممرّد أي مملّس، ويقال شجرة مرداء إذا تناثر ورقها، والذي لم تنبت له لحية يقال له أمرد لكون موضع اللحية أملس، فمن كان شديد البعد عن الطاعة يقال له مريد ومارد لأنه مُملّس عن طاعة الله لم يلتصق به من هذه الطاعة شيء " [102] .ومن كان أمرداً عن الحق والخير فهو

---

[100])الترمذي برقم:682.

[101]) الشوكاني،فتح القدير. الطبعة:الثانية، مصطفى البابي الحلبي بمصر 1391هـ،1971م،(ج4/ص237).

[102])الرازي، التفسير الكبير(ج 11، ص 36)مرجع سابق.

متجرد للشر والضرّ، يقول ابن عطية عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾[الصافات:7]:" والمارد المتجرد ومنه شجرة مرداء لا ورق عليها "[103].

ومِنْ تتبع أقوال المفسرين في أصل معنى المارد والمريد من الشياطين نجد أنه يرجع إلى معنيين:

1- التجرد للشر .

2- البعد عن الخير تشبيهاً له بالأملس الذي لا يعلق به شيء.

وقد زاد البعض معنى ثالثاً فقالوا: "هو من ظهور الذقن بعد ذهاب الشعر أو ظهور عيدان الشجر بعد سقوط الورق وهذا المعنى يتفق مع مراد تشبيه الشيطان بالأمرد فالمقصود من هذا التشبيه هو ذهاب الخير عنه من جهة كذهاب الشعر وورق الشجر عن الذقن والشجر ، وهما اللذان يشكلان الخير لأصلهما اللذان هما عليه ، ومن جهة أخرى بقاء الأصل بلا خير فعلاهما الشر ، كحال الذقن بلا شعر والشجرة بلا ورق "[104] .

المطلب الثالث

الرجيم

من أوصاف إبليس الذي قد ورد هذا في مواضع متعددة من القرآن، قال تعالى عن إبليس بعد رفض السجود لآدم: {قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} [الحجر: 34].

وقال: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [النحل: 98].

وقال: {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} [التكوير:25].

قال ابن منظور:(الرجم: الرمي بالحجارة)، وقال: (والرجم: اللعن، ومنه الشيطان الرجيم، أي المرجوم بالكواكب، وقيل رجيم: ملعون، مرجوم باللعنة، مبعد مطرود، وهو قول أهل التفسير، قال: ويكون الرجيم بمعنى المشؤم المسبوب من قوله تعالى: {لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا}[مريم: 46].: أي لأسبنك.

وقد ورد الرجم بمعنى الهجران، والطرد، والظن.

والرجوم: النجوم التي يرمى بها، قال تعالى في الشهب: {وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ} [الملك: 5]. أي جعلناها مرامي لهم).

---

[103])ابن عطية، المحرر الوجيز (ج 4،ص 466)مرجع سابق.

[104])الأولسي،روح المعاني،(ج 5،ص 218)

وعلى هذا فإن إطلاق صفة الرجيم على الشيطان لأنه مطرود عن رحمة الله، مبعد عنها بسبب عصيانه وتمرده وإغوائه لآدم وذريته، ولأن الشياطين مرجومة بالشهب حيث يرمون بها عندما يحاول أحدهم استراق أخبار السماء.

وقد ورد في القرآن اللعن الذي يفيد الطرد، وذلك في قوله تعالى حكاية عن إبليس: {لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا}[النساء: 118]. {وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} [الحجر: 35].

واللعن هو الطرد، وسمي إبليس ملعوناً لأن الله طرده وأبعده من رحمته، وأخرجه من جواره ([105])، جزاء عصيانه أمر ربه عندما توجه إليه الخطاب مع الملائكة بالسجود لآدم.

المطلب الرابع

الوسواس الخناس

قال تعالى في وصف الشياطين: {مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ} [الناس:4-6].

والوسواس الخناس صفة للشيطان الذي يوسوس بالشر للإنسان في كل حال، ويخنس عند ذكر العبد ربه، فعن ابن عباس قال: (ما من مولود إلا على قلبه الوسواس، فإذا تذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس). قال (فذلك قوله: الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) ([106]) .

وعن ابن ثور عن أبيه قال: (ذكر لي أن الشيطان – أو قال الوسواس – ينفث في قلب الإنسان عند الحزن وعند الفرح، وإذا ذكر الله خنس) ([107]) ، وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقول في قوله: {مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ} (الذي يوسوس بالدعاء إلى طاعته في صدور الناس حتى يستجاب له إلى ما دعا إليه من طاعته، فإذا استجيب له إلى ذلك خنس ([108]) . قال الطبري: (والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ به من شر شيطان يوسوس مرة ويخنس أخرى، ولم يخص وسوسته على نوع من أنواعها، ولا خنوسه على وجه بدون وجه، وقد يوسوس بالدعاء إلى

---

[105])مختصر تفسير ابن كثير(ج438/1)مرجع سابق.

[106])تفسير الطبري(ج355/30)مرجع سابق.

[107])تفسير الطبري(ج710/24)

[108]) تفسير الطبري(ج355/30)

معصية الله، فإذا أطيع فيها خنس، وقد يوسوس بالنهي عن طاعة الله، فإذا ذكر العبد أمر ربه فأطاعه فيه وعصى الشيطان خنس، فهو في كل حالتيه وسواس خناس، وهذه الصفة صفته) ([109]) .

والوسوسة هذه تحصل من شياطين الإنس والجن فإن قوله: مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ لبيان وجه الوسواس الخناس، وهو أنه إما أن يكون إنساناً، أو شيطاناً، من عالم الإنس أو عالم الجن ([110]) وقال ابن تيمية: (والوسواس الخناس يتناول وسوسة الجِنَّة ووسوسة الناس، وإلا أي معنى للاستعاذة من وسوسة الجِنَّة فقط، مع أن وسوسة نفسه وشياطين الإنس هي ما تضره، وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن) ([111]) .؟ !.

المطلب الخامس

الطاغوت

لم يكن حديثنا عن المارد ووصفه بتلك الشرور ليوصد الباب تماماً أمام استشاطة الشيطان في الشر والغواية والإضلال، فلإن كان المارد مُملّساً عن الخير مجرداً للشر فإن هناك من الشياطين من جاوز هذا الوصف، فبالإضافة إلى البعد التام الكامل عن الخير، وإلى التجرد التام للشر والإضلال، فقد تجرأ هذا الصنف زوراً وبهتاناً على أخص خصائص الألوهية والربوبية بتنصيب نفسه معبوداً من دون الله، وهذا الصنف هو الطاغوت الذي ورد ذكره في كتاب الله ثماني مرات كلها في سياق العبودية لله والتبرؤ من هذا الشيطان المتأله.

أنواع الطواغيت:

الطواغيت كثيرة لا حصر لها على هذه الأرض ، ولكنها تتصنف في أنواع متعددة وقد ذكر ابن القيم رؤوس هذه الطواغيت فجعلها خمسة حيث قال : " والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة :

إبليس لعنه الله، من عُبد وهو راض، من دعى الناس إلى عبادة نفسه، من ادّعى شيئاً من علم الغيب، من حكم بغير ما أنزل الله " [112] .

---

[109]) تفسير الطبري(ج710/24)

[110])التفسير القرآني للقرآن(ج1750/14)

[111])مجموعة الرسائل الكبرى(ج202/2)

[112] – الزحيلي،التفسير المنير (ج 3 – ص 26)مرجع سابق.

والحق أن هذه الرؤوس – كما سماه ابن القيم – تشمل كل طاغوت على اختلاف ألوانهم وأنواعهم وأجناسهم .

المطلب السادس

القرين

ولكي يُتم إبليس اللعين مهمة إغواء البشر، وكي تكون أقوى وأنجع أخرج من حزبه طائفة يُسمَّون: القرناء، يتخصص كل واحد منهم بإضلال أحد الصالحين، أو حتى غير الصالحين من بقية البشر، فيبقى هذا الشيطان القرين ملازماً لصاحبه حتى الممات، بل إنه يحشر معه يوم القيامة ليساقا جميعاً إلى جهنم، ولذلك فقد عبر الحق سبحانه وتعالى عن ملازمة القرين لقرينه بلفظة (قيَّض) في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.[الزخرف:36]

يقول ابن عاشور: " التقييض : الإتاحة وتهيئة شيء لملازمة شيء لعمل حتى يتمه ، وهو مشتق من اسم جامد وهو قيْض البيضة ، أي القشر المحيط مما في داخل البيضة من المحّ [113] لأن القيْض يلازم البيضة فلا يفارقها حتى يخرج منها الفرخ فيتم ما أتيح له القيض [114]".

وقد وضح الحق سبحانه وتعالى مهمة هذا القرين الملازم لصاحبه وبيّن أنها تنطوي على مهمتين كل منهما تكمّل عمل الأخرى ، وذلك في آية الزخرف﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[الزخرف:36,37]فهذه الآية تحدد مهمة القرين على النحو التالي :

1- الصد عن سبيل الله .

2- إيهام المقارَن بأنه على حق.

فالصد عن سبيل الله لا يكون إلا بتزيين الباطل وتحسينه في نظر المقارَن فهو يقول له: إياك أن تعتقد أن ما فعلت شر، أو مخالف لشرع الله، فوالله ما أردت لك إلا الخير، بل أنت على الحق والهداية، ويبقى معه في هذا الوسواس حتى يكتشف الحقيقة ولكن متأخراً جداً ،

---

113 – وهو بياض البيضة مما يلي قشرتها من الداخل، وهو ما يتغذى عليه جنين الدجاجة قبل الخروج.

114)ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج 25،ص 209)

يوم لا ينفع مال ولا بنون فيقول حينها: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾.[الزخرف:،38]

وهذا القرين كما يكون من الجن فهو من الإنس أيضاً، بل إن الإنس هم سبب نزول آية الزخرف فيما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: " عن محمد بن عثمان المخرمي، أن قريشاً قالت: قيِّضوا لكل رجلٍ رجلاً من أصحاب محمد يأخذه ، فقيَّضوا لأبي بكر رضي الله عنه طلحة بن عبيد الله، فأتاه وهو في القوم فقال أبو بكر رضي الله عنه: إلاما تدعونني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى! قال أبو بكر رضي الله عنه : وما اللات؟ قال ربنا: قال وما العزى؟ قال: بنات الله. قال أبو بكر رضي الله عنه: فمن أمهم ؟ فسكت طلحة، فلم يجبه ، فقال طلحة لأصحابه: أجيبوا الرجل فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر، أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فأنزل الله ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً﴾.[الزخرف:38]

وهذه الطريقة العجيبة في الجدال والإصرار على الإغواء تبين وظيفة القرين على قرينه، وكيف أن الإيمان الراسخ بالله كإيمان أبي بكر يستطيع أن يهزم هذا القرين ووساوسه.

مصير القرناء في الآخرة:

ويبقى القرين مقيضاً لقرينه إلى أن يدخل في جهنم، فهو ملازم له في المحشر، يقول تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً ﴾ [مريم:68]يقول القرطبي: " أي ولنحشرن الشياطين قرناء لهم.

قيل: يُحشَر كل كافر مع شيطان في سلسلة،كما قال:﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصافات:22]" [115].

وفي النهاية أسوق كلمة لابن عاشور يبين فيها توافق القرناء معنى التقييض يقول : " والقرناء هنا هم الملازمون لهم في الضلالة : إما في الظاهر مثل دعاة الكفر وأئمته ، وإما في باطن النفوس مثل شياطين الوسواس الذي قال الله فيهم ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[الزخرف:36] ... ومعنى تقييضهم لهم تقديرهم لهم ، أي خلق المناسبات التي يتسبب عليها تقارب بعضهم مع بعض لتناسب أفكار الدعاة والقابلين

[115] – القرطبي،الجامع لآيات الأحكام(ج 11 – ص 132)مرجع سابق.

كما يقول الحكماء (استفادة القابل من المبدئ تتوقف على المناسبات بينهما) . فالتقييض بمعنى التقدير، عبارة جامعة لمختلف المؤثرات والتجمعات التي توجب التآلف والتحابّ بين الجماعات ولمختلف الطبائع المكونة في نفوس بعض الناس، فيقتضي بعضها جاذبية الشياطين إليها، وحدوث الخواطر السيئة فيها. وللإحاطة بهذا المقصود أوثرَ التعبير هنا ب(قيضنا) دون غيره من نحو: بعثنا، وأرسلنا. " [116]

المبحث الثاني

صفات الشياطين(الأبالسة)

وفيه تمهيد ومطلبان

تمهيد:

وبعد أن عرضنا التصنيف القرآني للشياطين من حيث أنواعهم ووظائفهم نعرض في هذا المطلب تلك الصفات التي تميز هذه الأصناف سواء أكانت خلْقية تتعلق بطبيعتهم، أو معنوية تتعلق بسلوكهم وخلُقهم.

المطلب الأول

الصفات الخَلْقية

وضح القرآن الكريم بعض صفات الشياطين وخاصة تلك التي ترتبط معرفتها بالتنفير من هذا الصنف من المخلوقات من جهة، والتحذير منهم ومعرفة حقيقتهم من جهة أخرى كي لا يكون للشياطين على المؤمنين سبيل أو سلطان، وهذه الصفات هي:

1) شيطان الجن مخلوق من نار :

وهذه الخلقة مندرجة في عموم خلق الجن، كما إن شياطين الإنس مخلوقون من طين كعموم جنسهم من الإنس يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[الحج:26,27]،

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : " المراد بالصلصال ها هنا التراب اليابس . والظاهر أنه كقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ [الرحمن:14,15] ... وقوله (مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) أي : الصلصال من حمأ وهو الطين .

---

[116] –الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (ج 24 – ص 274، 275)مرجع سابق.

والمسنون : الأملس ... وقوله: (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ) أي: من قبل الإنسان (مِنْ نَارِ السَّمُومِ) أي: هي السموم التي تقتل...وعن ابن عباس: إن الجان خُلق من لهب النار وفي رواية: من أحسن النار"[117].

وقد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خلقت الملائكة من نور، وخُلق الجانّ من مارج من نار وخُلق آدم مما وُصف لكم" [118].

2) طبيعة شياطين الجن لا تُرى للإنس:

وهذه صفة خاصة بشياطين الجن دون شياطين الإنس حيث اكتُسبت هذه الصفة من الطبيعة العامة لخلق الجن ، ولكن لما كانت لصنف الشياطين استُغلت شر استغلال في تخويف البشر واستفزازهم ، يقول تعالى عن هذه الطبيعة : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾[الأعراف:27]، " يعني جل ثناؤه بذلك : إن الشيطان يراكم هو . والهاء في (إنه) عائدة على الشيطان. وقبيله يعني: وصنفه وجنسه الذي هو منه، واحدٌ جمعه (قُبُل) وهم الجن : وقوله (مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ) يقول: من حيث لا ترون أنتم أيها الناس الشيطان وقبيله . " [119] .

وقد أثارت هذه الطبيعة –كما ذكرنا – الخوف والنفور من شياطين الجن بل الاستسلام لهم في بعض الأحيان ، ولذا فقد حذر الله البشر من هذه الطبيعة في الآية السابقة ، يقول صاحب الظلال : " وزيادة في التحذير ، واستثارة للحذر ينبههم ربهم أن الشيطان يراهم هو وقبيله من حيث لا يرونهم . وإذاً فهو الأقدر على فتنتهم بوسائله الخفية ، وهم محتاجون إلى شدة الاحتياط ، وإلى مضاعفة اليقظة ، وإلى دوام الحذر ، كي لا يأخذهم على غرة " [120] ، وقد بيّن الألوسي هذا المعنى حيث قال في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف:27]: " تعليل للنهي كما هو معروف في الجملة المصدرة (

---

[3] – لابن كثير، تفسير القرآن العظيم — ج 8 – ص 255، 256.

[118]) موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم –كتاب الزهد والرقائق – باب: في أحاديث متفرقة – ص 1196– ح 2996.

[119] –الطبري، جامع البيان – م 5 – ج 8 – ص 195

[120] – سيد قطب،في ظلال القرآن (ج 3 – ص 1279، 1280)

بأنه) في أمثاله وتأكيد للتحذير لأن العدو إذا أتى من حيث لا يُرى كان أشد وأخوف " [121] .

وقد مكنت هذه الطبيعة شياطين الجن من رؤية ما لا يراه الإنس ، ومثال ذلك رؤية إبليس للملائكة يوم بدر ، حيث حكى عنه رب العزة قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الأنفال:48]، " تبرأ منهم إما بتركهم أو ترك الوسوسة لهم التي كان يفعلها أولاً ، وخاف عليهم وأيِس من حالهم لما رأى إمداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة عليهم السلام " [122] .

3) قبح صورة الشيطان:

الشيطان قبيح الصورة، وهذا مستقر في الأذهان، وقد كان النصارى في القرون الوسطى يصورون الشيطان على هيئة رجل أسود ذي لحية مدببة، وحواجب مرفوعة، وفم ينفث لهباً، وقرون وأظلاف وذيل ([123])

ومما جُبِل عليه الشيطان خاصة دون سائر الجن ، قبح صورته ، والتي تحمل في مضمونها قبح أفعاله، وقبح اتباعه، " فالشيطان قبيح الصورة، وهذا مستقر في الأذهان، وقد شبه الله ثمار شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم برؤوس الشياطين ، لما عُلِم من قبح صورهم وأشكالهم،﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات، الآيتان 64، 65]، وثبت في السنة أن الشيطان له قرنان، فعن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب ولا تَحَيَّنوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان " [124] ... " [125]

---

[121] – روح المعاني – للألوسي – ج 8 – ص 155

[122] – روح المعاني – للألوسي – ج 10 – ص 22

[123]) دائرة المعارف الحديثة:357.

[124]– موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح البخاري –كتاب بدء الخلق – باب : صفة إبليس وجنوده – ص 264 – ح 3272 .

[125]–عمر الأشقر،عالم الجن والشياطين – ص 23 .

والمعنى أن طوائف المشركين كانوا يعبدون الشمس، ويسجدون لها عند طلوعها، وعند غروبها، فعند ذلك ينتصب الشيطان في الجهة التي تكون فيها الشمس، حتى تكون عبادتهم له.

وقد جاء هذا مصرحاً به في صحي مسلم ، فقد سأل عمرو بن عبسة السلمي الرسول عن الصلاة . فقال صلى الله عليه وسلم: (صل صلاة الصبح، ثم أقصر الصلاة حتى تطلع الشمس، حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذٍ يسجد لها الكفار، ثمّ صلَّ، فإن الصلاة مشهودة محضورة).

ثم نهاه عن الصلاة بعد العصر (حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذٍ يسجد لها الكفار) ([126]).

وقد نهينا عن الصلاة في هذين الوقتين، والصحيح أن الصلاة في هذين الوقتين جائزة، إذا كان لها سبب كتحية المسجد، ولا تجوز بلا سبب كالنفل المطلق ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تَحَيّنوا)؛ أي لا تتقصدوا .

ومما ورد في قرن الشيطان حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى المشرق، فقال: (ها إنَّ الفتنة هاهنا، إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان)([127]). والمراد بقوله: (حين يطلع الشيطان)؛ أي جهة الشرق.

المطلب الثاني

الصفات المعنوية

لم يستطرد كتاب الله في توضيح الصفات الخلْقية للشيطان كما رأينا: إذ هو يبيّن منها ما يتعلق بهدفه الرئيسي الهداية للبشر ، ولأجل هذا الهدف استطرد الحق سبحانه وتعالى في بيان الصفات المعنوية الخُلُقية للشيطان ، وذلك بهدف توضيح وتحديد صورة الشيطان لكل من تحق عليهم الدعوة، فيظهر لهم عدوهم بصفاته فيعرفوه، ومن ثم يجتنبوه ، ويبتعدوا عن التشبّه بأي صفة من صفاته وهذه الصفات هي:

1. الاستكبار والكفر:

---

[126]) رواه مسلم: 569/1، ورقمه: 832.

[127]) رواه مسلم: 569/1، ورقمه: 832.

صفتان متلازمتان تقود أولاهما إلى ثانيتهما ، ولقد كان الاستكبار هو الدافع إلى كفر أبي الشياطين إبليس عليه لعنة الله ، يقول تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إبليس أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة:34] " فقوله تعالى: (واستكبر) الاستكبار : الاستعظام فكأنه كره السجود في حقه ، واستعظمه في حق آدم ، فكأن ترك السجود لآدم تسفيهاً لأمر الله وحكمته ، وعن هذا الكِبر عبر عليه السلام بقوله : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكِبر " [128]. وفي رواية " فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً . قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكِبر بطر الحق وغمط الناس " [129] . ومعنى بطر الحق تسفيهه وإبطاله . وغمط الناس : الاحتقار لهم والازدراء بهم ... وقد صرح اللعين بهذا المعنى فقال تعالى على لسانه:﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾[ص:الآية 76]. ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ [الإسراء، الآية 61].﴿ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [سورة الحجر، الآية 33.]فكفّره الله بذلك ... ولذلك قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إبليس مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص ، الآية 75]أي استكبرت ولا كِبر لك ، ولم أتكبر أنا حين خلقته بيدي والكبر لي. فلذلك قال ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ "[130]

وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية ارتباط الكفر بالاستكبار في معرض حديثه عن أقسام الكفر حيث جعل كفر الكِبر واحداً منها يقول : " أما الكفر الأكبر فهو خمسة أنواع : كفر تكذيب ، كفر استكبار وإباء ، كفر إعراض ، كفر شك ، وكفر نفاق ... وأما كفر الإباء والاستكبار : فهو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينصع له إباءاً واستكباراً ، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل كفرعون وقومه . وقول الأمم لرسلهم: ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ [إبراهيم:10] وهو كفر اليهود ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[البقرة:89] " [131]، .

---

[128] – أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ (ذرة) بدل (حبة) – موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب: تحريم الكبر وبيانه – ص 693 – ح 91 وهو جزء من حديث طويل .

[129] – موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة – صحيح مسلم – كتاب الإيمان باب: تحريم الكبر وبيانه – ص 693 – ح 91.

[130] – القرطبي،الجامع لآيات الأحكام(ج 1 – ص 296 ، 297)مرجع سابق.

[131] – ابن القيم، مدارج السالكين،(ج 1،ص 364، 367) (بتصرف)

ولقد اكتسب أتباع إبليس من شياطين الجن والإنس هذه الصفة المقيتة، فحملتهم على كل قبيح بدءاً بالكفر، وانتهاءً بإضلال غيرهم كي يصبحوا من أشياعهم.

ولو أنا تتبعنا أسباب الكفر في هذا العالم لوجدنا أن جلّها يعود إلى الكبر والتعالي على شرع الله ، مع استيقان الأنفس بالحق ، ألم ترى كيف أظهر الله مكنون صدور شياطين آل فرعون: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾ [النمل:14]، وها هم شياطين اليهود والنصارى يدفعهم الكبر والعلو إلى الكفر بنبي الرحمة مع أنهم يعرفونه أكثر من معرفتهم بأبنائهم: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .[سورة البقرة، الآية 146.]

2. معصية الله:

ونتيجة لهذا الاستكبار ، والذي أدى إلى الكفر ، وقع إبليس عليه لعنة الله ، هو ومن تبعه ، في كبرهم وكفرهم ، وقعوا في معصية الله ومخالفة أمره ، فصار هذا العصيان لهم ديدناً وسجيّة ما دام في قلب أي شيطان منهم كبرٌ وأنفة عن طاعة الله سبحانه وتعالى ، وبيّن الحق سبحانه هذه السجية على لسان أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام فيقول فيما يحكيه عنه في خطابه لأبيه:﴿ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً﴾[مريم44] يقول تعالى على لسان إبراهيم : " يا أبت لا تعبد الشيطان ، إن الشيطان كان لله عصياً . والعصي : ذو العصيان ، كما العليم : ذو العلم " [132] فهذه هي صفة الشيطان في أي زمان ، وفي أي مكان .

3. اللعن والرجم:

صفتان اكتسبهما أبو الشياطين إبليس لما عصى ربه استكباراً وكفراً بعدم السجود لآدم ، وهما متلاصقتان في المعنى فكلاهما تعني الطرد والرمي والإبعاد .

أما اللعين " فأصل اللعن : الإبعاد ، وهو في العرف إبعاد مقترن بسخط وغضب " [133] ، وأما الرجم والرجيم : " فأصل الرجم : الرمي بقول كان أو بفعل ومن الرجم بالقول

---

[132] – الطبري،جامع البيان – م 9 – ج 16 – 120)مرجع سابق.

[133])ابن عطية،(أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي) تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1991م.(ج 2 – ص 114)

قول أبي إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ ﴾[مريم ، الآية 46]وقد يجوز أن يكون قيل للشيطان: رجيم، لأن الله جل ثناؤه طرده من سماواته، ورجمه بالشهب الثواقب " [134] ، " والرجيم: المرجوم ، صُرِف من مفعول إلى فعيل، وهو: المشتوم، كذلك قال جماعة من أهل التأويل " [135] .

وقد وردت هاتان الصفتان في مواضع كثيرة بلفظيهما وبألفاظ مقاربة كلها تدل على العيب والنقص والنفي والطرد من رحمة الله ، ومن تلك الألفاظ المتقاربة : الذأم ، والدحر ، يقول تعالى: ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً ... ﴾[الأعراف، الآية 18]" ومذءوماً أي: مذموماً، والذأم: العيب بتخفيف الميم، قال ابن زيد: مذؤوماً ومذموماً سواء، يقال ذأمته وذممته وذُمْته بمعنى واحد، وقال مجاهد: المذؤوم المنعي، والمعنيان متقاربان، والمدحور: المبعد المطرود، وأصله: " الدفع " [136] .

وقد ركزت الآيات القرآنية على بيان لعنة ورجم إبليس وطرده من رحمة الله ، بتلك الألفاظ المختلفة التي ذكرنا، أما لعنة ورجم أتباعه فبديهيٌ بالاتباع له وإن كان قد ورد لعن الشيطان بشكل عام في آيات قلائل أمثال قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[النحل، الآية 98].

بعض اللطائف حول الآيات:

ورد لعن إبليس في آيتين متشابهتين باختلاف حرف واحد وذلك في سورتي الحجر و ص ، ففي الحجر قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾[الحجر، الآية 35]، وفي سورة ص يقول : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[ص، الآية 78]ففي آية الحجر جاء اللعن مطلقاً دون تقييد ، وفي ص جاء مضافاً إلى رب العزة سبحانه وتعالى وفي ذلك يقول أبو السعود : " وتقييدها بالإضافة مع إطلاقها في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ ﴾ لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضاً من جهته تعالى ، وأنهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وإبعاده من الرحمة إلى يوم الدين "[137] .

---

[134])الطبري،جامع البيان(ج 1 – ص 62)

[135])المرجع السابق(ج 14 – ص 42)

[136])القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي) الجامع لأحكام القرآن – دار الكتب المصرية، القاهرة – الطبعة الأولى 1365 هـ. (ج 7 – ص 176)

[137])أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (ج 7 – ص 237)

4. الطغيان ومجاوزة الحد:

ونتيجة لهذا الطرد الرباني للمستكبرين المتعالين ، زاد بعض المعاندين في عِنْدِهِم ، وجاوز بعض المستكبرين في غيّهم ، وطغى أتباع إبليس في الأرض ، وتجبروا بغير الحق كفراً وعناداً وتحدياً سخيفاً لرب العزة ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً ﴾[الإسراء، الآية 62]فكانت النتيجة أن سمى الله طغاتهم بالطاغوت ، أي : المتجاوز للحد في العصيان والضلال والإضلال لغيره ، يقول تعالى: ﴿ كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴾[طه ، الآية 81]" أي لَيتجاوز الحد في المعصية وإتباع هوى النفس ويستكبر عن ربه عز وجل " [138] وهذا في حق شياطين الإنس الذين تفوقوا على شياطين الجن في هذه الصفة بالذات دون غيرها .

ولذلك ترى القرآن حين يتحدث عن الطغيان يورده في معرض الحديث عن الإنس ، فهذا عليه لعنة الله يصفه الحق سبحانه وتعالى بالطغيان ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾[طه ، الآية 24]" وطغى: معناه عصى وتكبر وكفر وتجبر وجاوز الحد " [139] .

وفي معرض الحديث عن بني إسرائيل يحذرهم الله من الطغيان وتجاوز الحد يقول تعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾[طه ، الآية 81]" أي لا تحملنكم السعة والعافية أن تعصوا ، لأن الطغيان هو التجاوز إلى ما لا يجوز . وقيل : المعنى : أي لا تكفروا النعمة ولا تنسوا شكر المنعم بها عليكم "[140] .

وقد توعد الله سبحانه وتعالى الطغاة بالعذاب الشديد في الآخرة بالخلود في جنهم : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[النازعات، الآية 37 – 39]"أي عتا عن أمر ربه فعصاه ولم يطعه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه " [141].

5. الضعف أمام الحق :

وبعد هذا العرض المخيف للشيطان المتكبر اللعين الطاغية العاصي المجرم ، يطمئن الله عباده المتمسكين بالحق بأن هذا الشيطان على كل ما أوتي من طغيان، ضعيف أمام الحق لا يستطيعه ولا يقدر على أتباعه المتمسكين به مهما أوتي من كيد ومكر وخداع يقول الحق سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾[النساء، الآية 76]وكيده:" ما كاد به المؤمنين

---

[138])الأولسي، روح المعان،(ج 16 – ص 326)

[139] – الجامع لآيات الأحكام – للقرطبي – ج 11 – ص 192)مرجع سابق.

[140] – المرجع السابق – ج 11 – ص 230

[141] –أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير،(ج 4 – ص 619)

من تحزيبه أولياءه من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الإيمان. فلا تهابوا أولياء الشيطان فإنما هم حزبه وأنصاره، وحزب الشيطان أهل وهن وضعف"[142] .

وقد بيّن تعالى بشكل لا يقبل الريب أن الباطل زاهق لا محالة وأنه لا يستطيع هزيمة الحق ، بل لا يستطيع أن يفعل شيئاً في هذه الدنيا بدون إرادة الله يقول تعالى : ﴿ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[سبأ، الآية 49]"والباطل: إبليس، أي: ما يخلق إبليس أحداً ولا يبعثه"[143]، وهذا الباطل الذي هو إبليس وجنده زهوق أمام الحق كما أخبرنا ربنا في قوله ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ [الإسراء، الآية 81]قال قتادة : " الحق : القرآن ، وزهق الباطل : هلك ، وهو الشيطان " [144] .

6. خذلان أتباعه:

ولما كان الشيطان بمثل هذا الضعف والهوان ، ولما كان كل ما يقوم به زور وبهتان ، كانت حبائله أمام الحق قصيرة ، وكانت مكائده للمؤمنين ضعيفة ، فإذا جد الجد ، وظهر الحق ، نكص على عقبيه ، لأنه يعلم ما لا يعلمه أتباعه المغَرَّرين .

ولقد بيّن الله تعالى لنا صورتين لهذا الخذلان إحداهما في الدنيا والأخرى في الآخرة:

- **الصورة الأولى:**

تلك هي صورته القبيحة وهو يخذل المشركين في معركة بدر الكبرى بعد أن أوقعهم فيما يريد من الوقوف أمام الحق وأتباعه يقول تعالى:﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الأنفال، الآية 48]وكفي بالآية وصافاً لهذا الخذلان .

- **الصورة الثانية:**

وهي يوم المشهد العظيم إذ يتبرأ الشيطان تبرءاً تاماً من كل أتباعه ويخذلهم يقول تعالى واصفاً هذا المشهد ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ

---

142 – جامع البيان – للطبري(ج 5 – ص 223)مرجع سابق.

143 – جامع البيان – للطبري(ج 22 – ص 129)مرجع سابق.

144 – جامع البيان – للطبري(ج 5 – ص 178)مرجع سابق.

لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[إبراهيم، الآية 22]" يخبر تعالى هنا عما خاطب به إبليس أتباعه بعدما قضى الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات وأسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم إبليس لعنه الله، يومئذ خطيباً، ليزيدهم حزناً إلى حزنهم، وحسرة إلى حسرتهم، فقال : إن الله وعدكم وعد الحق على ألسنة رسله، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة ... وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم، كما قال الله تعالى ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾[النساء، الآية 120]" [145].

وقد جلّى الحق سبحانه هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ ... وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾[الفرقان، الآية 29.] والشيطان يوسوس ويغري بالكفر والشرك والمعصية ، ثم يخذل أتباعه ، والخذل: الترك من الإعانة ، والبرء من فعله .

وكل من صد عن سبيل الله وأُطيع في معصية الله، فهو شيطان للإنسان، خذول عند نزول العذاب والبلاء، كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[الحشر: 16]"[146].

تعليق على هذه الصفات:

قد يُطرح سؤال مهم حول هذه الصفات يتعلق بعددها وإحاطتها الفعلية بكل ما هو من صفات الشيطان المعنوية، فقد يقول قائل: الإغواء، والكذب، والوسوسة، والعداوة للمؤمنين ... كل هذه صفات لم تُذكر هنا، وهي مذكورة في كتاب الله عز وجل!

نعم، هي صفات مذكورة في كتاب الله عز وجل، ولكننا في هذا المبحث أردنا أن نسلط الضوء على الصفات الذاتية للشيطان، والتي هي قائمة بذاته، لازمة له، تكوِّن شخصيته وتمزجها بمزاجها، أما ما ذُكر كالوسوسة والإغواء والوعد الكاذب فهو من قبيل الصفات العرضية التي لا تقوم في جوهر الشيطان، بل هي أقرب إلى الأدوات منها إلى الصفات، وهي أقرب إلى الأهداف منها إلى النعوت، وبما أن بحثنا متعلق بمسار حياة إبليس، فلن يترك شيئاً منها إلا وسيأتي عليه، ولكن في مكانه التصنيفي الصحيح، فسنبحث هذه الأهداف والوسائل الشيطانية في موضعها في مستقدَم البحث إن شاء الله .

---

145 –ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ص 192، 193)مرجع سابق.

146 – للزحيلي، التفسير المنير،(ج 19 – ص 54) .مرجع سابق